75-960931

المورد

مجلة تراثية فصلية • تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع - العدد الرابع - ١٣٩٥ — ١٩٧٥

علاقة الرسم بالدين

بقلم

سميرة عبدالله الشبل

اسباب ومدلولات الرسومات على جدران الكهوف

اثارت مواضيع الرسوم والحفر والنحت كثيرا من الرغبات في دراستها ، والاراء في هذا المجال كثيرة ومتعددة .

ان الكثيرين يرجحون ان الانسان اندفع الى هذا الاتجاه بدوافع فنية غريزية للتعبير عن نوازعه واحاسيسه ، ومن هؤلاء من يقول انه اندفع بدوافع دينية، واخرون يرجحون ان الدوافع السحرية من اولى هذه الدوافع الا انني اعتقد ان الراي الاول هو الاصح ، فقبل ان يعرف الانسان السحر ومن ثم الدين كان يشعر ويحس فكانت حاجته الى التعبير عن خوالجه وما يعتلج داخله هي حاجة طبيعية وملحة جدا ، فكان في رايي يرسم ويخطط على جدران كهفه دون ان يقصد او يعني شيئا غير التعبير عن احاسيسه ، ثم ظهرت نوازعه المتنوعة وحاجته الى اعمال السحر(١) ، ومن ثم نشا الدين الذي ارتبط ارتباطا مباشرا بالسحر بكافة انواعه ومنذ نشوئه .

واذا كان ثمة من يعتقد ان التاريخ بدا مع اكتشاف الكتابة فان هذا يعني ان التاريخ قد بدأ حوالي ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد في كل من مصر والعراق و ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد في الصين ولكن فترة ما قبل التاريخ والتي تم اكتشافها مؤخرا عبر سلسلة البحوث الجيولوجية والاثارية تشير بشكل لا يقبل الشك الى انها كانت فترة من اغنى واثرى فترات الوجود الانساني ومن الممكن القول في ضوء اخر الاكتشافات العلمية ان نمطا مميزا من البشر ذا وعي خاص للشعر والرسم قد عاش فوق هذه الارض قبل نصف مليون سنة او مليون سنة ولكن الفن لم يوجد على الاغلب الا في حدود ما قبل ٣٠ الف سنة في اوربا حيث كل شيء مكرس للدين والفن الديني كان يمتلك غايات محدودة هي السعي الجاد من اجل وجود افضل ، والوجود الافضل يعني امتلاك حظ سعيد من الصيد واجتناب السقوط بين براثن الموت الكامن داخل بعض الوحوش الكاسرة والظواهر الطبيعية(٢) .

من هنا تنشا العلاقة القوية بين الدين والفن ، واذا كان الاول قد وجد من اجل اضاءة مهمة الصياد فان الرسم بالذات كان يمثل جوهر هذا التطلع الانساني المشوب بالغموض والطقوس الاحتفالية .

ان ما خلفه لنا الفنانون الاوائل من رسومات وآثار فنية تمثل قطعا محاولة الانسان العاقل لتفسير الظواهر الطبيعية وما الى ذلك من امور طبيعية اخرى تتعلق بما يحيط به من نبات وحيوان وتبدل اوضاع هذه الاشكال امامه .

وقد ظهر الانسان [الفنان] من الطور الثاني من العصر الحجري القديم فقد تقدم الانسان جسميا وعقليا او نشأ نوع الانسان الحديث الذي كان اقرب ما يكون الى نوع الانسان الحاضر . وقد كان هذا الانسان ـ فنانا ـ اذ تعلم الرسم والنحت، فقد وجدت في جدران الكهوف التي التجأ اليها منذ القدم رسومات ملونة غاية في دقة التعبير في الوقت الذي ظهرت اول بوادر التفكير عنده في الحياة والموت مما ادى الى ظهور البذور الاولى للدين والتي تجسدت برسومات بدائية وممارسات مختلفة لانواع السحر ، وهكذا يمكننا اعتبار الرسم اول محاولة للانسان للسيطرة على الطبيعة باعمال السحر (٣)

والحقيقة ان هذا الفن السحري كان مهما جدا وخاصة في نظر مجتمع نهاية العصر الحجري القديم حتى ان السحرة الرسامين ربما كانوا يعفون من واجبات الصيد المرهقة ليتفرغوا للطقوس المعروفة بانها كانت اكثر انتاجا ، فكان يخصص لهم غالبا قسم مما يأتي به الصيد لقاء اشتراك روحي في محنه واخطاره(٤) .

ان الفن زاد من ثروة الحضارة الروحية في مجتمعات نهاية العصر الحجري القديم فاعمال الحفر والرسم في الكهوف الفرنسية تحظى باعجاب الفنانين اليوم ويعتبرونها اعمالا جميلة، واذا كانت قد صنعت لاهداف سحرية(٥) فهي في الواقع اهداف دينية فان ذلك لم يمنع الفنان من ارضاء ميله الى الجمال بجعل رسمه جميلا، ويذكر الدكتور نجيب مخائيل في كتابه (مصر والشرق الادنى القديم) ان الفنان الاول لم يتمكن من رؤية ذلك الجمال اكثر مما كان بامكان بتهوفن ان يسمع لحنه التاسع ، غير اني اعتقد ان الفنان الاول كان يستطيع ان يستمتع بجمال اعماله الفنية من نحت ورسم ، فالانسان الذي له قابلية اظهار ما يحسه بهذه الطريقة وهذا الابداع الذي نراه في الرسومات الجدارية للكهوف يستطيع في رايي ان يتذوق الجمال ولو الى حد ما .

ولقد تم في سبعينيات القرن المنصرم العثور على رسوم غاية في الاهمية في كهف النامرا في شمالي اسبانيا التي استطاعت ان توضح الفن الذي يعود الى ما قبل التاريخ والذي

---

(١) لقد استعمل البدائيون السحر لجلب الحيوان اليهم كي يسهل صيده .

(٢) الرسم البدائي قبل ٣٠ الف سنة ـ ضياء العزاوي ـ المثقف العربي ـ العدد ١ ص ٥٠ .

(٣) طه باقر ـ مقدمة في تاريخ الحضارات .

(٤) ماذا حدث في التاريخ ـ جوردن تشايلد ، ص ٣٦

(٥) ان الفن في نظري هو اقرب شيء الى السحر ، فالفن يسعى لاظهار مشاعر واحاسيس الفنان ومحاولة تأثيرها على مشاعرنا واحاسيسنا ، وفي رايي ان هذا ما يسعى اليه السحر ايضا .

كان من الممكن ان يظل مخفيا لولا اكتشافها . ولقد عالجت امثال تلك الرسوم بشكل واضح او رمزي مواضيع عديدة امثال صيد الحيوان او الاشكال الانسانية او الاشكال الحيوانيةفان اراد الرسام البدائي ان يرسم عملية صيد رسم كافة الطقوس السحرية التي كانوا يقومون بها ، وتشير دراسة عن غابة ـ ايثوري ـ في افريقيا الى ان السكان البدائيين عندما كانوا يرغبون في اصطياد طريدة جيدة كانوا يعقدون احتفالا لذاطقوس خاصة ويقومون برسم الطريدة المطلوبة على احدى الصخور الضخمة وهذا يعني السيطرة على الطريدة وايقاعها في سحر الرعية ، وعند الفجر يتم عقد احتفال اخر اذ تقف احدى النساء قرب الرسم وتبدا بالغناء بطريقة تفقد معها الوعي ، ومع الغناء يبدا رجال القبيلة بتصويب سهامهم نحو الرسم الى ان يصيب احدهم الهدف ، وعند ذاك يتسلل ثلاثة رجال نحو الغابة بسهامهم بينما المراة تغني فاتحة ذراعيها للريح حتى يعود الصيادون بالطريدة ، وبعد تلطيخ الرسم بدم وجلد وشعر الطريدة يكون هذا الطقس السحري قد انتهى(٦) .

وفي رسوم اخرى تشاهد ارواح الموتى المنسيين، وهي تطير فوق العالم ، ان امثال هذه الطقوس الغريبة المرتبطة بالغموض والسحر ما هي الا رموز هامة نابعة من عقلية الانسانالبدائي.

وكذلك وجدت رسوم صخرية في استراليا وغينيا الجديدة ووسط الهند وقد رسمت لنفس الغاية السابقة ومعظمها تشبه في التكتيك والتخطيط الرسوم الصخرية التي تم العثور عليها في كل من اوربا وافريقيا .

وان كانت الرسوم الصخرية قد قدمت رؤية كاملةلوظيفة الفن وعلاقته بالعالم والانسان فان رسوم الصحراء اصبحت المحرك الاول لفن الرسم الذي ظهر فيما بعد في مصر من فترة الفراعية حيث تحول الى تكريس تام للطقوس الدينية .

نشوء العلاقة بين الرسم والدين

ان اول الاديان التي عرفها التاريخ هو الدين السومري ، ولقد كان هذا الدينوثيق الاتصال بنظام الحكم وذلك انالحكومة سرعان ما رات ما في الالتجاء الى الدين من فوائد سياسية فما ان اصبح الالهة ذا فائدة من هذه الناحية حتى تضاعف عددها فاصبح لكل مدينة ولكل ولاية الـه مدبر والحق ان كل مدينة كانت شديدة الحرص على استقلالهـا وتستمتع بملك خاص تسميه ـ باتيس او الملك ـ الكاهن ـ فتدل هذه التسمية على ما للكاهن من مكانة في نظام الحكم كما انهم في مصر كانوادعامة العرش كما كانوا الشرطة السرية القوامة على النظام الاجتماعي وكانت كثرة الالهة تسكن المعابد حيث يقدم لها المؤمنون القرابين(٧) .

وقد عثر في الخرائب السومرية على لوحة نقشت عليها بعض العادات جاءت فيها هذه النذور الدينية الغريبة :

[ان الضان فداء للحم الادميين به افتدى الانسان حياته] .

واثرى الكهنة من القرابين حتى اصبحوا اكثر الطبقات مالا واعظمها قوة في المدن السومرية والاكدية .

فلما اسرف الكهنة في ابتزاز الاموال نهض اوركاجينا كما نهض لوثر فيما بعد ونذد بنهمهم وجشعهم ولقد افلح نوعا ما ، ولكنه مات قبل ان يتم عمله فاستعاد الكهنة سلطانهم بعد موته كما استعادوا سلطانهم في مصر بعد موت اخناتون .

ولقد كانوا يعلمون الناس الاساطير وما من شك في انهم كانوا يتخذون من هذه الاساطير سبيلا الى تعليم الناس ما يريدونه منهم ولكن مع ذلك حاول الكهنة تدريس الاولاد والبنات الخط والحساب وغرسوا في نفوسهم حب الوطنية والصلاح في حين ان الكهنة في مصر قد صرفوا كل همهم الى بيع الرقى وغمغمة العزائم واداء المراسيم والطقوس السحرية فلم يجدوا متسعا من الوقت لتعليم لناس المباديء الخلقية .

ولكن كيف نشات هذه الطبقة التي استطاعت ان تلعب دورا فعالا في جميع الحضارات ؟ ففي مصر مثلا استطاعت ان تغير مجرى الحوادث حتى جاء اخناتون فثار عليها ، فقد كان المعبد وملحقاته اماكن للعبادة ، وكان المعبود او المعبودة يتطلب الولاء من العابدين ، فلابد من هيئة تقوم على الخدمة، وكان الملك اصلا يقوم بالمهمة لانه يمثل المعبود المحلي ولكنهلم يكن يستطيع بمفرده ان يقوم بكافة الالتزامات من كل الاماكن في وقت واحد ، وهكذا نرى طبقة الكهنة تنشا لتسد هـذا الفراغ ولتسهر على القيام بالواجبات المفروضة نحو المعبود وابرز طبقات الكهنة ثلاثة :

١ ـ السحرة .
٢ ـ المنجمون .
٣ ـ المرتلون(٨) .

ومن هنا نرى الارتباط الوثيق بين الدين والسحر . وبما اننا اعتبرنا الرسم اول محاولة للانسان للسيطرة على الطبيعة باعمال السحر(٩) فقد وضحت لنا العرى الوثيقة التي تربط الرسم بالدين منذ القدم .

الميزات التي تميز الرسومات الدينية في وادي الرافدين ووادي النيل

لقد حرص الفنان في وادي الرافدين ووادي النيل على ابراز صورة الشخص الرئيسي وتمثيله في اوضاع جليلة شريفة تنم عن مكانته وعلو مركزه كما يظهر لنا ذلك بوضوح من كافة ما وجدناه من صور ورسومات ، ففي الحضارةالبابلية القديمة وفي مدينة ماري بالذات اكتشفت قاعات عديدة مزينة الجدران بمشاهد ورسومات مؤداة بالوان بديعة منسجمة مع بعضها(١٠) ،ومن هذه التكوينات ما يخص الحياة اليومية ومنها ما يخص ويرتبط بالقضايا الدينية حيث تتوفر في المشهد الرسوم عناصر رمزية ترتبط بالدين بشكل مباشر او غير مباشر مثل الحيوانات المجنحة والشجرة المقدسة المؤداة بزخارف لونية رائعة ، كذلك هناك مشاهد لطيور ونخيل اضافة الى الشخوص المصورة بالوان جذابة .

واستغلت الخطوط ـ خطوط الماء الفوار المقدس ـ في الشكل لتكون انسجاما مع الموضوع ككل ، وهنا نجد ظاهرة استخدام رسوم الاسماك رمزا على جريان هذا الماء وحيويته

(٦) المثقف العربي ـ العدد الاول ـ الرسم البدائي قبل ٣٠ الف سنة ـ ضياء العزاوي ص ٥٣ .
(٧) قصة الحضارة ـ بول ديورانت ص ٣١ .
(٨) مصر والشرق الادنى القديم ـ الدكتور نجيب مخائيل ـ
(٩) مقدمة في تاريخ الحضارات ـ طه باقر .
(١٠) حضارة مصر والشرق القديم ـ للدكتور ابراهيم زرقانه ـ ص ٧٦ .

وربما كان هناك مفهوم رمزي في رسوم الاسماك في الطقوس الدينية ، واغلب الظن ان رسم الاسماك عند خطوط الماء بتلك الحركة الدالة على الحياة يقصد بها اظهار ما للماء من اهمية وانه رمز الحياة واساسها .

ومن المشاهد المرسومة المزينة لقاعات قصر ـ زمديلم ـ في ماري ـ وقد وجد ناقصا ـ مشهد يمثل تقديم قرابين للالهة ويظهر بوضوح ان الشخص الرئيسي مرسوم بحجم مبالغ به مقارنة بحجوم الشخوص الاخرى ، للتدليل على اهميته .

وقد تميزت بالالوان اكثرية المشاهد ذات المضامين الدينية كالآلة والعناصر الزخرفية المؤداة بشكل رمزي متجانس مع الطقوس الدينية مثل الحيوانات المجنحة ورموز الالهة مثل الشمس ، والاواني ذات المياه المقدسة والمصطبات التي تقوم عليها القرابين ، ولهذا استخدم اللون الازرق(١١) بشكل بديع في كافة المشاهد تقريبا ، كذلك اللون الرمادي مع الالوان الاخرى بشكل منسجم وكذلك ، استعمل اللون الابيض ، والبني المشوب بالسواد بالتناوب في مقاعد الالهة الكبيرة المرسومة غالبا ملابسها باللون الابيض وقد جعلت رموزا لمناطق مرتفعة يقصد بها جبالا .

اما في وادي النيل فان هناك نماذج عديدة تؤكد ان الفنان المصري كان يحرص على رسم الشخص المهم اكبر وابرز من الاخرين وذلك يتوضح في اكثرية المشاهد التي عثر عليها وتظهر لنا بوضوح كبير في الصورة البديعة التي عثر عليها للملك اخناتون التي تمثله مع زوجته وبعض بناتهما وكلهم يتعبدون للالهة ـ اتون ـ ويقدمون له القرابين ويظهر لنا الملك اكبر الافراد المرسومين(١٢) طولا وذلك للدلالة على اهميته ثم تليه زوجته وبعدها بناتهما ويظهر في اعلى الصورة ايضا رمز الاله آتون وهو على شكل قرص يرسل اشعته(١٣) الى الارض وتنتهي الاشعة بايد تقبض على رمز الحياة .

وباعتقادي ان انغمار اشعة الشمس الممثلة بخطوط رمزية على الملك والملكة وبصورة رئيسية ربما كان يقصد به انهما من نسل الاله آتون او ربما قصد به انهما اكثر نقاء وطهرا ونضوجا عقليا من الاخرين ومما يرجح الراي الاول ان الاشعة في جميع الصورة المشابهة لا تصل حتى الى الابناء ـ ابناء الملك ـ بنفس القوة التي تصل بها الى الملك والملكة او حتى لا تصلهم اطلاقا . ونلاحظ ايضا ان الفنان المصري حرص في رسوماته على تقديم الذراع او الساق البعيدتين عن المشاهد اذا كان لابد من تقديم ذراع او ساق حتى لا تتقاطع اعضاء الجسم في شكل غير مناسب وقد لوحظ هذا حتى في الرسومات الممثلة للالهة انفسهم(١٤) .

(١١) استخدم اللون الازرق في وادي الرافدين ووادي النيل في المشاهد الدينية وذلك لعلاقته بنقاء السماء وصفائها في مفهوم الاديان السالفة .

(١٢) حضارة مصر والشرق القديم ـ الدكتور محمد انور شكري ص ٢٠٧ .

(١٣) وهو اسلوب درجت عليه الفنون القديمة واخذت به فنون العصور الوسطى .

(١٤) فاذا كان الشخص يتجه الى اليمين تقدمت الذراع او الساق اليسرى واذا كان يتجه الى اليسار تقدمت الذراع او الساق اليمنى .

اثر المعتقدات الدينية في الرسوم

في العصور الحجرية القديمة حيث كان المجتمع يعيش على الصيد والقنص ، ظهرت طائفة من الطقوس الدينية تهدف الى تقوية عزيمة الافراد وتحثهم على مقاتلة الوحوش وتحمل الاخطار دون مبالاة بهذه الاخطار التي تنجم عن صراع الانسان بوسائله البدائية ضد الطبيعة الغامضة التي كانت تحيط به ، ولقد حامت عقائده حول مورد رزقه وطعامه الا وهو تلك الحيوانات التي لا تحصى والتي كانت تهاجر من جهة الى اخرى فتتعقبها جماعات من البشر وتفتك بالكثير منها(١٥) .

ان شدة تعلق مجتمع الصيادين والقناصة بالحياة وخشيتهم سبل المعيشة ومقاساتهم مجاعات طويلة من ضيق مجال الصيد حملتهم هذه الاسباب مجتمعة على تقديس الحيوان والنظر اليه كقوة خارقة تبعث الحياة وتشفي الاوجاع والامراض كما تتركز فيها الامال والاطماع وتحوم حولها قصص البطولة والاقدام .

ولقد عاش الانسان في تلك الاونة مستمدا عزيمته من ايمانه بان آلهته تتخذ مظهرا حيوانيا فاذا صادها نسي له ان يستمد منها بعض قواها الخفية فيصبح هو الاخر شبيها بها من حيث القوة والباس مما ييسر له فرصة الوقوف على لغتها واسرارها ومكرها ودهائها فيسيطر عليها .

وكان من بين الاغراض السحرية وقتذاك التمويه على روح الفريسة التي قد تسعى بعد وفاة الشكل الحيواني الذي تقمصته الى الانتقام من الصائد والحاق الاضرار به فتسلط عليه انواعا اخرى من الحيوانات المفترسة للقضاء عليه او قد تصيبه بالامراض والعقم او تضيق عليه سبل الرزق فيسوء حظه في الصيد ولذلك نراه حين يصور(١٦) الحيوان يدقق في اظهار تفاصيل اعضائه والتعبير عن حركته اصدق تعبير ، وحين يصور الانسان نراه يخشى اظهار تقاطيع وجهه ومعالم شخصيته كي لا تتعرف عليه [قرينة] الفريسة فيرسم الانسان بطريقة رمزية مجردة للغاية كانها اشكال هندسية او رسوم بسيطة صادرة عن طفل غير قادر على الرسم .

ولعل الخدوش التي يعمد الفنان الى احداثها سواء في رسومه الحائطية او على التمائم واشكال الحيوان التي ينقشها على ادواته واسلحته البدائية تهدف الى ابطال فعل [قرينة] الحيوان المصور كما سبق القول .

ان انقضاء العصر الحجري القديم لم يترتب عليه زوال تقاليده الدينية ، فلشدة تمسك المجتمع بها استمرت تنتقل من جيل الى اخر ، رغم تغير اطارها الاساس وما لبثت ان تداخلت في العقائد الدينية لحضارات حديثة نسبيا وتسربت بعض هذه التقاليد الى الحياة الشعبية التي نقلت الكثير منها الى العصر الحاضر.

ولا غرابة في ان تتسرب بهذه الكيفية طائفة من المعتقدات القديمة ـ القائمة على تقديم الدية والذبائح كقربان للالهة

(١٥) الفن الشعبي والمعتقدات السحرية ـ سعد الخادم ص٨.

(١٦) هناك آراء كثيرة تفسر الدوافع التي دفعت الانسان القديم الى الرسم واحد الاراء الجديرة بالذكر والتي توضح مدى علاقة الانسان بالمحيطين به ومقدار اتصال تفكيره بهم ـ القائل انه كان يرسم الوحوش مطعونة بالسهام والحراب ويرسم قلب الحيوان وكانه يحدد موضعه للصائد الحديث الخبرة .

الحيوانية ـ الى مجتمع اصبح يعبر جميع ما يؤثرعلىالمحاصيل الزراعية كالشمس والقمر والامطار والانهار والبحيرات .

ومن بين ما تخلف من طقوس قديمة في العصر الحجري الحديث نحر الذبائح للمحاصيل الزراعية ولا سيما الاشجار المثمرة(١٧) اذكانت تعلق على قممها رؤوس الكباش او العجول او غيرها لضمان غزارة محاصيلها .

[وقد نجد بقايا لهذا التقليد في بعض المعتقـــدات الشعبية التي ترى ان قرن الكبش اذا دفن تحت شجرة كثـــر حملها](١٨) .

وقد انتقل هذا التقليد الاخير بدوره الى الحضارات المصرية القديمة والبابلية والفارسية حيث اقيمت في الهياكل الدينية والمعابد اعمدة على شكل جذوع الاشجار وانخذت تيجان هذه الاعمدة اشكال رؤوس حيوانية كالابقار كان الالهة الحيوانية نحرت وقدمت فدية للالهة النباتية الحديثة(١٩) .

ان مجموعـة كبيرة من الطقوس السحرية التي ظهرت في العصرين الحجري القديم والحجري الحديث قد استمرت الى ما بعدت ذلك ، حتى ترى آثارها في الحضارات الكبيرة التي اعقبت الحضارتين السابقتين ، فعلى الرغم من تغير سبل المعيشة من صيد الى زراعة بدائية ومنها الى زراعة منتظمـــة تقوم على الري والحرث وكافة ما تقوم عليه الزراعة الحديثة من ادوات ووسائل وما يتبعها من تخطيط مدن واقامة معابد او هياكل فان الطقوس السرية القديمة ظلت قائمة وتداخلت في العقائد والديانات التي استحدثت والتي اصبحت تلخص في مجموعها تراث الماضي .

وفي مصر كانت عقيدة الخلود هي اهم العقائد التي تميز الدين المصري القديم وعليها ترتكز كافة العقائد والاساطير .

كانت عقيدة [اوزيديس] تجد سبيلها في اطراد الى العادات والعقائد الجنائزية مما ادى الى ان انعقدت الصلة في نهاية الاسرة الحادية عشر بين محاكمة الميت على اعماله وبين محاكمة [اوزيديس] ، وترتب على ذلك ان اصبح الميت ينعت بانه [الصادق الصوت] او [المبرا] على نحو ما قضت محكمة ـ رع ـ لاوزيديس ، على انه منذ الدولة الوسطى ساد الاعتقاد بان اداء طقوس الدفن الاوزيرية للميت يكفي لان يضفي عليه شخصية [اوزيديس] نفسه ولذلك كان يلقب باوزيديس ومن ثم غدت محاكمة الميت امرا صوريا وضاعت القيمةالخلقية المقصودة من حسابه على اعماله في حياته ، واصبح للسحر سلطان كبير في تحقيق سعادة الميت في الاخرة(٢٠) .

وقد كان المصريون يعتقدون ان الانسان يتالف من جسـد وروح ـباـ وفرين ـكاـ وان كلا منهما يعتمد على غيره وان كان لكل منهما وجود مستقل كما ذهبوا الى انه لايمكن للمتوفى ان يتمتع بحياة ثانية دون الاحتفاظ بجسده سليما اما الروح فقد مثلوها على هيئة طائر ومن اهم خصائصها انها تستطيع ان تتخذ ما تشاء من اشكال مختلفة وراوا ان الفرين ـ كا ـ صورة لصاحبه يولد معه ولا يختلف عنه الا بعلامة فوق رأسه ويلازمه بعد الموت ويحتمل انه كان في اعتقادهم يمثل مجموع الصفات الروحية للحياة في الاخرة (٢١) .

كانت الروح والفرين في بداية الامر مما تختص بهماالالهة والملوك ولكن لم يلبث ان ادعاها الافراد كذلك [كان يعتقد ان لكل ملك ولكل اله سبع ارواح واربعة عشر قرينا](٢٢) .

وفي وادي الرافدين ايضا ترى الاعتقاد القائل بوجود حياة بعد الموت قد اتخذه السومريون عقدة لهم فكان الحاكم يدفن في تابوت يوضع في قبو بني من الحجر او الآجر ويحاط بعدد كبير من رجالاته وخدمه ، وحرص اهل [سومير] على تزويد الميت بحاجياتهالشخصية وهذه اما ان تكون معالجثة او توضع بجانبه داخل التابوت ، كما كانوا يضعون خارج التابوت قاربا صغيرا مملوءا باواني فخارية مختلفة الاحجام تحتوي انواعا شتى من القرابين وذلك لان اهل ـ سومير ـ اعتقدوا ان الميت يضطر في رحلته الى العالم السفلي الى استخدام قارب مزود بانواع المآكل والمشارب وهنا يجدر بنا ان نتطرق الى ما كان يعتقد المصريون بوضع القارب مع الميت ، فقد جرت العادة عندهم بوضع قارب ـ رمزيا كان حجمه ام قاربا اعتياديا ـ وذلك لانهم كانوا يعتقدون ان الميت برحلته الى الدنيا الثانية سوف يحتاج الى هذا القارب لقطع المسافات المائية التي سوف يصادفها .

اما في دولة اكد فقد قامت الاسر الدينية على نفس العقائد التي كانت سائدة عند السومريين فقد اعتقدوا ان العالم في بدء امره كان يتكون من عنصر واحد هو [الماء] وهذا العنصر حوى في نفسه عنصرين ازليين اولهما محيط المياه العذبـــة واطلقوا عليه اسم ـ ابو ـ والثاني محيط المياه المالحةوعبروا عنه باسم ـ بناماث ـ وبتزاوج هذين العنصرين الازليينانبثقت الخليقة ـ الالهة والبشر ـ .

ومن حقنا ان نفترض ان السومريين كانوا يؤمنون بالحياة الاخرة ودليلنا على ذلك تزويد مقابرهم بانواع شتى من الطعام والادوات لابدانهم اعتقدوا باستعمالها في دنيا الموت ، ولكنهم في نفس الوقت صوروا الدار الاخرى كعالم مظلم تسكنـــه الاطياف التعسة ويهوى اليه الموتى أيا كان شانهم من غـــير تمييز بينهم .

اما عقيدة البابليين عن الدنيا الثانية فقد كانت تختلف تماما عما كان سائدا عند المصريين القدماء بل كانت اقرب الى ما تصوره الاغريق القدماء فقد اعتقدوا ان الناس بعد موتهم يذهبون كلهم ـالقديس والمذنبـ الى مكان مظلم في جوف الارض سموه [ارالو] وهو بمثابة دار للعقاب .

وهكذا كانت عقيدة البابليين عن الدنيا الثانية تبعث على الحزن وعدم الابتهاج الا انها كانت تحوي ما يكفيلتقديم القرابين من الطعام والشراب الى الالهة وكهانهم .

ومن الغريب حقا ان التمسك بالديـن عنـــد البابليين لـم يكن يتعدى تقديم القرابيـن للالهة متبعين في ذلـــك المراسيم المتفق عليها والمعمول بها . اما الحياة الصالحة حقا فلم تكن في الحساب بمعنى ان البابلي ما دام قد قام بما حق عليه نحو الهه فهو بعد ذلك في حل من ان يفقا عين عدوهالمهزوم ويقطع ايدي الاسرى وارجلهم ويشوي ما بقي من اجسادهمهوهم احياء دون ان يؤذي بذلك آلهته !

D'Ariella, G., Croyances, Rites, Institution, Paris 1911. (١٧)

(١٨) [ابن سينا ـ علي] مجموعة ابن سينا الكبرى .

(١٩) وربما انتقل هذا التقليد من بعد تلك الحضاراتالقديمة الى شعوب اخرى مثل عرب الجاهلية لما نعرفه عنهم من تقديس لبعض الاشجار وعبادتها .

(٢٠) حضارة مصر والشرق القديم ص ١٧٤ .

(٢١) كالقدرة على الخلق او الارادة الخالقة والقوة وغيرها .

(٢٢) حضارة مصـر والشـرق القديـــم . ص٩٥ .